

- البلغة

البلغة منتج تقليدي أصيل ارتبط اسمها بصناعة المنتوجات الجلدية التي ازدهرت بها مدينة فاس منذ القدم، وساهم الصناع الحرفيون بذكائهم وسعة خيالهم في إضفاء جمالية متجددة على البلغة الفاسية. هذه الأخيرة وحدت بين الرجال والنساء، غير أن في صيغتها الرجالية ظلت سنوات طويلة حبيسة ألوان وأشكال بعينها هي الأصفر والرمادي والأبيض، فيما كان يمكن لـ "البلغة النسائية" أن تتألق في ألوان وأشكال تراعي أنوثة المرأة وأناقته.

وسميت البلغة كذلك لأنها "تبلغ" الإنسان إلى مآربه والبلغة إذا قدمت هدية فدلالتها توحى بأن مقدمها للشخص المهدي إليه طول العمر والوصول إلى تحقيق غاياته في الحياة.

وتعرف البلغة الفاسية بمقدمتها الحادة ويطلق على أحسن أنواعها البلغة "الظهيرية" نسبة إلى وسط القطعة الجلدية، وقد استطاعت هذه البلغة الحفاظ على مكانتها باعتبارها أحد مكونات اللباس التقليدي المغربي في المناسبات الرسمية والأعياد فضلا عن استعمالها في الحياة اليومية، وهذا ما ساهم فيه الخراز الفاسي بصموده وتفرد بصناعته من حيث حفظه على شرط توفر الجمال وجودة الصنعة.

- الشربيل

يعتبر الشربيل نعل تقليدي مطرز بخيوط من الذهب أو الحرير وبألوان مختلفة، من أقدم الأحذية المخصصة للنساء في شمال إفريقيا، وقد أرجع أحد المؤرخين أصل كلمة "شربيل" إلى أيام الأندلس لما ارتبط به من تناسق وتناغم مع القفطان. وهو إحالة رمزية على المرأة، فقد كان الرجل إذا أراد التحدث عن امرأة لا يشير إلى اسمها بشكل صريح بل يقول "مولاة الشربيل" أي صاحبة الشربيل، وهو وصف للمرأة الوقور ذات المكانة الاجتماعية والسمعة الطيبة.

وظلت قيمة "الشربيل الفاسي" ورمزيته لدى المرأة المغربية تتأني من واقع تقاليد فاس التي تقتضي أن يبعث العريس للعروس عددا معلوما من الأحذية التقليدية والتي غالبا ما يكون الشربيل الفاخر أساسها وعنوانها.

ورغم أن الشربيل لم يبق حبيس أشكال ثابتة، فإن الجميل فيه أنه وهو يساير آخر خطوط الموضة والأزياء لم يغير في المواد التي تستعمل في صناعته، حيث أضاف الحرفيون كعبا متوسط الطول إلى الشربيل الأصلي حتى يلائم جميع السيدات، وتم إدخال أقمشة عصرية كـ"المليفة" و"الدان" و"الموبرة" وكذلك قماش "الجينز" كما أدخلت عليه بعض الأكسسوارات والقطع المعدنية والسفيفة والبرشمان والأزرار الحريرية حتى يواكب موضة الملابس الجاهزة.

وتخضع عملية صناعة البلغة بمختلف أنواعها والشربيل إلى نفس مراحل الإنتاج، حيث تبدأ عملية تصنيع البلغة كباقي المنتجات التقليدية التي يعد الجلد مادتها الأساسية في دار الدبغ، حيث تدبغ جلود البقر والماعز وتلون بحسب الألوان الأكثر طلبا من قبل الصناع التقليديين المتخصصين، فبعد حصول الصانع على كميات الجلد الكافي ينطلق في تقطيع قطع الجلد داخل محرفه وفق مقاسات محددة وبأشكال تتناسب والنماذج التقليدية التي تعرف بها "البلغة" و"الشربيل". ولا يكتفي الصانع بذلك بل يجتهد في رسم نقوش وتنميق خطوط على واجهة البلغة الجلدية لتعطيتها رونقا خاصا، وتجعل منها قطعة فنية تميز الأزياء التقليدية المغربية. أما صانع البلغة المغربية فلا تنتهي مهمته إلا بعد أن يقوم بخياطة أجزائها وربطها بقاعدة النعل الذي يدعى "الفراشة" والمصنوع بدوره من الجلد السميك وحين الانتهاء من خياطة البلغة الجلدية وتجميع أجزائها، توضع في قالب يصطلىح عليه الصناع بـ"القراص" حسب أحجام ومقاسات مختلفة.

وتستغرق عملية صناعة البلغة يوما كاملا يحتاج خلاله الصانع إلى الإنزواء في مشغله والإنطلاق في عملية الصنع تقطيعا وتلميعا لتكون بذلك الأعلى بالنظر لمدى جودتها وحسن صناعتها وتزيينها.

أما الشربيل فيستغرق الخراز لصنع قطعة واحدة خمسة أيام من العمل المتواصل، ويستعمل في صنعه الجلد الطبيعي ويزين بلونين الذهبي والفضي، وهناك شربيل الحرير الذي لا يستغرق صنعه الكثير من الوقت لأنه يطرز بتطريزات خفيفة وتمتاز بألوانها الزاهية، كما يوجد نوع آخر من الشربيل مصنوع من بعض الأثواب الخاصة والجلود النادرة كجلد التمساح وجلد الثعبان التي غالبا ما تكون تحت طلب بعض النساء الميسورات.

في حين نجد في الغالب أن يعتمد الصانع التقليدي في تطريز الشربيل على ذوقه، ويختار أشكال الأزهار التي يرسمها عليه بعناية، مستعملا ما يناسب التصميم من الخيوط الذهبية أو الفضية أو الحريرية، ويحرص على تنسيق وترتيب ألوانها.

ويبقى الشربيل الفاسي المنتج الأكثر إقبالا من طرف النساء لأنه يمتاز بجودة الصنع والتطريزات الجميلة، كما أنه هو الأعلى ثمنا من بين كل أنواع الشربيل على المستوى الوطني.

وتعد مدينة فاس مركزا لأمهر الصناع التقليديين الذين تنتج ورشاتهم عشرات القطع إلا أن تسويق جل هذه المنتجات إلى الزبناء في الأسواق يمر كما جرت بذلك أعراف السوق التقليدي بواسطة الدلال "الوسيط" بسوق الدلالة الذي ينقلها من الصناع إلى البائع، طبقا للحاجيات والقدرة الشرائية.

وتبقى مدينة فاس هي السوق الأول بامتياز ومصدرا أساسيا للبلغة والشربيل كمنتوج تقليدي أصيل لكل المدن المغربية وأيضا لدول إفريقية أخرى.